الثورة
السبت 19 رجب 1433هـ 9 يونيو 2012م العدد (17371)

القاضي حمود الهتار في حوار صحفي لـ(الثورة):

1 - 2

مكانة العلماء أكبر من أن يكونوا أداة بيد السلطة أو المعارضة

> السياسة جدلٌ في كل مكان من العالم.. لكنها في اليمن غير ، خرجت عن خبازها، لتصل إلى باص النقل ، وكافتيريا العمل والسوق والساحات العامة ، وتشغل العامل والسائق والفراش والمقوِّت وربة البيت والعيال أيضاً ، لكن الأكثر غرابة هو كيف انتصرت السياسة في تشطير نُخَبنا الفكرية وعلمائنا الأجِلاّء، ومثقفينا المعول عليهم حمل لواء الحكمة والوسطية وإنارة سُبلِ الغموض من مسائل الحياة؟.. سؤال قد يبدو محورياً وجدلياً، أقحم المجتمع بالدوران في حلقة مفرغة.. وليس غريباً ذلك، فالسياسة بآلتها الإعلامية التي تخبز اللغط صباحاً ومساء عبر أثير فضاء العالم متوهة أجيالاً شغلهم هم امتلاك الحقيقة وتوهم كل طرفٍ إنها له ، لكن الحقيقة كما قال الفلاسفة القدامى أشبه بمرآة سقطت من السماء فَهَشُّمتْ أجزاء متناهية الصِّغَر، كل جزء مع مجموعة بشرية .. لكن الفلاسفة لم يوضحوا من هشمها.. ليتضح اليوم أن الإعلام الفضائي هو من هشمها .. أسئلة محورية أصلت باختزال عوامل انقسام نخب العلم اليمنية ، تجاه ما جرى ويجري على الساحة الوطنية ، وحوار صريح مرت استفهاماته عَجِلَةً على فخ علاقة العلماء بالساسة.. والدين بالسياسة.. أهمية هذا الحوار تكمن في كونه مع شخصية تمرست القضاء ، وتشربت لغة الحوار وشكلت مرجعية قضائية وشرعية في الحوار مع أكثر الفئات الدينية غلواً إذ كلّف القاضي حمود الهتار من قبل رئيس الجمهورية السابق علي عبدالله صالح، على رأس لجنة للحوار مع العناصر المتأثرة بأفكار القاعدة .. وحقق نجاحات مشهود لها في اقناع الكثير منهم بالعدول عن العنف والإرهاب ، وفي خضم ثورة الشباب السلمية كان له حضوره الفاعل كعضو في هيئة المجلس الأعلى لقوى الثورة السلمية.. إنه القاضي حمود الهتار – وزير الاوقاف السابق وأبرز رجالات القضاء في اليمن ..... إلى ما دار في هذا الحوار الصحفي:

| حاوره / محمد محمد إبراهيم

● في بداية هذا حوار نود الرجوع إلى لقاء رئيس الجمهورية بمجموعة من علماء اليمن ... كيف تنظرون إلى هذا اللقاء ؟ ولماذا اقتصر على بعض العلماء دون البعض الآخر ؟

– اللقاء كان خطوة في الاتجاه الصحيح، نحو تعزيز هيبة الدولة والوقوف مع الشرعية الدستورية، والقيام بواجب العلماء نحو الشعب اليمني ونحو القضايا التي تهم شعبنا والعلماء بطبيعة الحال يسعى بذمتهم أدناهم، وليس هناك غالب أو مغلوب أو انتصار لهذا الفريق أو ذاك إلا أننا نعتقد أنهم أصحاب رسالة واحدة..

وكنت أتمنى أن يكون اللقاء شاملا لكل علماء اليمن، وأن لا يقتصر على مجموعة محددة لأن وحدة العلماء تعد أساس وحدة المجتمع.. فصلاح الدين حينما أراد الانطلاق لتحرير القدس بدأ بتوحيد العلماء،خاصة وان اليمن شهد انفراجاً حقيقياً بعد توقيع المبادرة الخليجية وتشكيل حكومة الوفاق وانتخاب رئيس الجمهورية، وما رافق ذلك من البدء بخطوات الانتقال السلمي للسلطة، لكن ما زالت الأوضاع التي كانت قبل توقيع المبادرة قائمة بين أوساط العلماء، فهناك هيئة علماء اليمن و جمعية علماء اليمن، و رابطة علماء عدن ،و اتحاد علماء الجنوب.. وأتمنى أن يسعى العلماء جاهدين لتوحيد صفهم أولاً، من خلال إنشاء اتحاد لعلماء اليمن، لتجاوز الخلافات السابقة.. ويؤسس لوحدة حقيقية بين العلماء لتكون أساساً للوحدة الوطنية..

لأن الانقسام في أوساط العلماء عمَّق الانقسام في أوساط الشعب، وندعوهم إلى تجاوز أسباب الفرقة والخلاف وأن يستشعروا مسئوليتهم أمام الله، ثم أمام الشعب وأن يستشعروا أنهم القدوة في المجتمع وعليهم أن يجسدوا الوحدة الوطنية قولاً وممارسة، حتى يتمكنوا من أداء رسالتهم على الوجه الأكمل وإن كنا نشعر أنهم يقومون بدور لا بأس به، كل من موقعه لكن هذا لا يكفي، لا بد من توحيد الصف..

● طالب العلماء في لقائهم مع الرئيس بتكوين مرجعية شرعية من العلماء الربانيين.. ما هي رؤيتكم في هذا الطلب؟

– من حق العلماء أن يتقدموا بهذا الطلب إلى رئيس الدولة ومن حقه أن يتخذ له هيئة استشارية في علوم الشريعة ممن يشاء وبالطريقة التي يراها ،أما من الناحية الدستورية فإن الأنظمة الدستورية التي ينص دستورها على أن الشريعة الإسلامية مصدر جميع التشريعات فإن القضاء الدستوري هو المرجعية التي يرجع إليها عند الخلاف وأي قانون أو لائحة أو قرار يشتمل على مخالفة لنصوص الشريعة الإسلامية فإنه قابل للطعن أمام الدائرة الدستورية في المحكمة العليا ومعرض للإلغاء من قبلها .

● –مقاطعاً– عوداً على أمنيتك بـ(أن اللقاء يكون شاملاً لعلماء اليمن).. لماذا اقتصر اللقاء على كيان أو طرف معين من علماء اليمن؟

– يبدو أن اللقاء كان مفاجأً ولم يأخذ وقته من النقاش والتحضير.. ولم يتم التواصل مع بقية العلماء، ولو تم التواصل مع بقية العلماء لم يترددوا في الحضور..

العلماء والساسة

● معضلات شعوب العالم تكون في انقسام الساسة.. ويكون العلماء والمفكرون هم جزء لا يستهان به من الحل.. لكن انقسام الساسة في اليمن.. ألقى بظلاله على العلماء فوزعهم أشطاراً موازية لانقسام الساسة.. كيف تنظرون لذلك؟ وما هي دعوتكم للعلماء؟

– مكانة علماء الشريعة أكبر من أن يكونوا أداة بيد هذا الفريق أو ذاك، بيد السلطة أو المعارضة، وهم أعلى من أن يكونوا بهذا المستوى.. ويجب أن يجسدوا الالتزام الكامل بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وأن يقولوا لمن أحسن أحسنت ولمن أساء أسأت.. وبغض النظر عن موقعه فمكانتهم تحتم عليهم أن يكونوا مع الحق أينما كان..

> ثمة أطراف لا زالت مشدودة للماضي ولم تتجه نحو المستقبل ونقترح أن تكون هناك أهداف واضحة للحوار

● هذا ما يجب أن يكونوا عليه.. لكن الواقع اليمني يبرهن تداخل السياسة في الدين والدين في السياسة وفي المصلحة.. كيف تفندون هذا الواقع؟ وما هو التأصيل الشرعي لربط الدين بالسياسة والعكس؟

– الإسلام دينٍ ودولة عقيدة وشريعة وأخلاقا وسياسة وحكما واقتصاداً، ويجب أن يكون علماء الدين مرجعية للناس جميعاً وان لا يتعصبوا لأي من الآراء أو البرامج الخلافية او الاحزاب او المذاهب أو المناطق ، وان يكونوا مع الحق حيث كان، ملتزمين بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية..

التقارب السياسي

● في ظل هذه الأجواء المشحونة بالتوتر والانقسام.. ما هي الرؤية التي تطرحونها تجاه الحوار ؟ وما هي عوامل التقارب بين القوى المتصارعة في البلد؟

الحوار وسيلة لتحقيق غايات ينشدها المتحاورون جميعاً، وعلم له قواعد وأصول إذا التزمها المتحاورون، فإنهم يستطيعون الوصول إلى ما يريدون بسهولة ويسر، وإن خالفوها أو بعضها قد يفشلون، وتكون النتائج غير محمودة العواقب، ومن تلك القواعد التي يجب مراعاتها في عملية الحوار تحديد الهدف: ما الذي تريد من الحوار؟ ثم تحديد الموضوع: ما هي المواضيع والقضايا التي يمكن أن نتحاور حولها ؟ ثم تحديد المرجعية التي يرجع إليها المتحاورون عند الخلاف.. ثم تهيئة المناخ زماناً ومكاناً وأشخاصاً ، لإجراء الحوار، ثم سلوك الطرق العلمية في الاقناع ثم الابتعاد عن الأحكام والقناعات المسبقة.. ثم التحلي بالإنصاف، والقبول بنتائج الحوار.. والبدء بنقاط الاتفاق قبل نقاط الافتراق.. وكذا الالتزام بآداب الحوار، ومنها الاعتراف بالآخر، والاحترام المتبادل، وامتلاك كل أطراف الحوار لحرية الرأي والاعراب عنه، وتجنب ألفاظ السخرية والاستهزاء والتشنيع بالآخر ثم على المحاور أن يتعلم حسن الصمت كما يتعلم حسن الكلام، ويتعلم حسن الاستماع كما يتعلم حسن التحدث.. إلى غير ذلك من الآداب التي يجب أن تراعى في عملية الحوار إذا ما أراد المتحاورون أن يصلوا إلى كلمة سواء، أو رؤية متفق عليها في القضايا التي هي محل الخلاف، مِن هذا المنطلق يمكن للمتحاورين أن يسألوا أنفسهم ما الذي يريدون من الحوار، ويجب أن يكون الهدف واضحاً..

جوهر المشكلة الوطنية

● بيئة الحوار حتى اللحظة غير مناسبة.. برأيك أين يكمن جوهر هذا الخلل؟

أعتقد أن الكثير من الأطراف لا زالوا مشدودين للماضي لم يتجهوا نحو المستقبل نحو بناء اليمن.. ونحن نقترح أن تكون هناك أهداف واضحة.. يجب أن يكون الهدف الأول من الحوار– على سبيل المثال – هو: بناء دولة مدنية ذات نظام برلماني ديمقراطي فيدرالي بأقاليم متعددة في ظل الوحدة والجمهورية، يمكن أن يكون هذا هو الهدف الأول، وثانياً: تحقيق المصالحة الوطنية بين كافة الأطراف السياسية والقبائل اليمنية.. وثالثاً: بناء نظام ديمقراطي صحيح، ورابعاً: الاتفاق على رؤية وطنية لبناء اليمن خلال السنوات العشر القادمة، ويجب أن تكون هناك رؤية وتصور للحالة التي يجب أن تكون عليها اليمن بعد عشر سنوات..

مؤسسو الولايات المتحدة الأمريكية قبل أكثر من مائتي عام ، كان لديهم تصور لثلاثة أشياء الإنسان والأرض والنظام ، ثم بدأوا بإعداد وتنفيذ الاستراتيجيات والخطط اللازمة لتنفيذ ذلك التصور في شتى مجالات الحياة حتى وصلت الولايات المتحدة الأمريكية إلى ما وصلت إليه..

● – مقاطعاً– لكن اليمن ثقافة ومجتمعاً تختلف تماماً.. فالمشيخة أو القبيلة لازالت مستعصية على الدولة.. وكثير من شيوخ القبائل تحولوا إلى طُعم عسكرية ودويلات قائمة بذاتها ما حال دون الاتجاه صوب بناء مجتمع مدني تسود فيه المواطنة والعدالة، وتختفي التمردات والتمترسات المسلحة.. برأيكم أين يكمن جوهر المشكلة اليمنية ؟

– هناك علاقة تلازم بين الدولة والقبيلة، إذا قوى أحدهما ضعف الآخر .. فإذا كانت الدولة قوية ضعف دور القبيلة والعكس صحيح.. والقبيلة مكون من مكونات المجتمع كما هو معروف ، وكذلك الاسلام اعترف بهذه الكيانات، ولكنه هذبها وحدد مهمتها بالتعارف قال تعالى):يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).. جعل الهدف من هذا كله هو التعارف والتعايش.. لكن كما قلت لك: إذا كانت الدولة قوية تكون القبيلة إحدى ركائزها، وإذا كانت الدولة ضعيفة فإن القبيلة تكون هي المهيمنة.. واليمنيون بطبعهم يحبون الالتزام بالنظام والقانون وهم شورويون في الأساس ويؤمنون بقداسة الأحكام الشرعية وأهمية الالتزام بها، ولا يقفون في مواجهة تطبيق أحكام الشرع أو القانون، والقبائل ينادون بقيام الدولة وينادون بتطبيق القوانين النافذة.. ولذلك لا خوف على الدولة المدنية من القبيلة إذا كانت هذه الدولة قوية..

اللجنة العسكرية

● تم تشكيل اللجنة العسكرية المعوّل عليها إزالة المظاهر المسلحة وترميم انقسامات البلد ابتداء من العاصمة.. كيف تنظرون لما قطعته اللجنة العسكرية حتى الآن؟

– ما قامت به اللجنة العسكرية والأمنية حتى اليوم .. مقارنة بالصعوبات والتحديات التي كانت أمامها فإنها تكون قد حققت الشيء الكثير وإذا ما قورنت بواجباتها الدستورية والقانونية ونصوص المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية فإن ما أنجز يكون دون المستوى المطلوب ..

● لكن هناك قوى قبلية وعسكرية لا زالت مصرة على الصراع والبقاء المسلح داخل العاصمة.. ما هي دعوتك لهذه القوى ؟

– أدعو القوى السياسية الموجودة على الساحة اليمنية إلى الالتزام بنصوص القرآن والسنة النبوية والدستور والقوانين النافذة وتغليب المصلحة الوطنية العليا على مصالح الأفراد والأحزاب والجماعات، إذا انطلقوا من هذه المحددات فإنهم سيناقشون كل القضايا التي يجب أن يجري الحوار حولها، وسيصلون إلى رؤية متفق عليها، تجسد آمال وتطلعات اليمنيين في التغيير نحو الأفضل في شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية..

الانقسامات والتباينات

● وجود مشكلة صعدة، وأبين، وتباين رؤى الحراكيين، وهلامية الوضع السياسي الراهن من الحوار وغيرها من التشرذمات والانقسامات القبلية والمجتمعية .. هذه مؤشرات تهدد المجتمع اليمني.. برأيكم ما السبيل للخروج منها للحفاظ على وحدة اليمنيين وتماسكهم؟

– في زمن عمر بن عبد العزيز شكا أحد الولاة الى الخليفة تألب الأعداء على منطقة ولايته واجتماعهم ضده وطلب منه مدداً وجندا لمواجهتهم فأجاب عليه قائلاً: نق طرقها من الظلم وحصنها بالعدل فانه الحصن الحصين، ولا يمكن أن نحافظ على وحدة اليمن وأمنه واستقراره إلا بإزالة المظالم وإقامة العدل وترسيخ سيادة القانون ولا تتحقق هذه الأمنيات إلا بإقامة دولة قوية ولن تكون الدولة قوية إلا إذا كان لديها قضاء قوي حر نزيه مستقل عادل وإذا وجدت هذه الدولة فلا خوف من هذه الانقسامات أياً كانت مسمياتها.. فالمؤمل من سلطة الوفاق ومؤتمر الحوار الوطني أن يعملا على إيجاد دولة قوية تذوب فيها الانقسامات وتتجسد في معالمها الوحدة الوطنية.. وما جرى ويجري في صعدة وفي غيرها من المحافظات الجنوبية والشرقية ما كان ليحدث لولا المظالم وغياب العدالة وسيادة القانون وضعف مؤسسات الدولة،وفقدان هيبتها.

> أدعوا القوى السياسية اليمنية إلى تغليب المصلحة الوطنية العليا

> لن تكون الدولة قوية إلا إذا كان لديها قضاء قوي وإذا وجدت الدولة لا خوف من الإنقسامات

> ما قامت به اللجنة العسكرية والأمنية حتى اليوم إنجاز كبير إذا ما قورنت بالصعوبات التي تواجهها